**الملخص:**

تناولت هذه الدراسة تجارة المدينة المنورة خلال الفترة من القرن الخامس الهجري وحتى القرن العاشر الهجري من خلال نوع جديد من المصادر، وهي كتابات الجغرافيين والرحالة المسلمين.

وتأتي أهمية هذه الدراسة في التقاط الإشارة لدى الجغرافيين والرحالة المسلمين وتحليلها؛ لتكوين صورة واضحة ما أمكن عن الأحوال التجارية للمدينة المنورة من خلال هذا النوع من المصادر.

وقد سلطت الدراسة الضوء على الطرق التجارية التي ربطت المدينة بغيرها من المناطق، ودورها في تنشيط التجارة، كما أبرزت العلاقات التجارية للمدينة المنورة مع المناطق المحيطة بها، من خلال المبادلات التجارية، وأظهرت الدراسة صادرات وواردات المدينة المنورة من السلع والمنتوجات، كما ناقشت أسواق المدينة وما كان يمارس فيها من أنشطة وتعاملات مختلفة، وبينت أبرز العوامل المؤثرة في الحركة التجارية للمدينة المنورة سلبا وايجابا.

ومن أبرز النتائج التي توصلت اليها الدراسة أنها بينت مدى ثراء الفكر الجغرافي والرحلي في الإشارات الهامة إلى تجارة المدينة، التي عز وجودها في غير هذا النوع من المصادر، كما أظهرت الدراسة أن المدينة شهدت حالة من النشاط في الحركة التجارية وإلى جانب ذلك مرت بحالات من الاضطراب والتذبذب، وكان للمواسم الدور الأكبر في ذلك.

**كلمات مفتاحية: تجارة المدينة المنورة، كتابات الرحالة عن المدينة، المدينة المنورة في كتب الجغرافيا.**

**Abstract:**

Abstract:

This study dealt with the trade of Medina during the period from the fifth century AH until the tenth century AH through a new type of sources, the writings of the geographers and Muslim travelers.

The importance of this study is to capture and analyze the reference among the geographers and the Muslim traveler, to form a clear picture of the commercial conditions of Medina through this type of source.

The study highlighted the trade routes that connected the city to other regions and its role in stimulating trade. It also highlighted the commercial relations of Medina with the surrounding areas through trade exchanges. The study showed the exports and imports of Medina goods and products. It also discussed the markets of the city and the activities and transactions were different, and highlighted the most important factors affecting the commercial movement of the city of Medina negatively and positively.

One of the most prominent findings of the study is that it showed the richness of geographical and spatial thought in the important signs of the city's trade, which was attributed to the presence of other types of sources. The study also showed that the city witnessed a state of activity in the commercial movement, Fluctuation, and the seasons had the biggest role in it.

Keywords: Medina in geographical books, trade of the city, writings of travelers on the city.

**المقدمة:**

شهدت المدينة توافدا من قبل عدد من الرحالة المسلمين، الذين زاروها في رحلاتهم للحج، ووفدوا لزيارة المسجد النبوي، والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد كتب بعضهم وصفا لمراحل رحلته وزيارته إلى المدينة الشريفة، وكتب مشاهداته وملاحظاته على ما رآه في المدينة، ووصفه وصفا دقيقا، ومن خلال ما قدمه هؤلاء الرحالة وما احتوته كتب الجغرافيين من وصف للمدينة يمكن أن نلتقط العديد من الإشارات والصور حول الحياة الاقتصادية في المدينة المنورة عامة والاحوال التجارية خاصة.

ولم يكن العثور على تلك الإشارات والتقاطها أمرا سهلا، والسبب في ذلك أن أغلب كتابات الجغرافيين والرحالة المسلمين كانت منصبَّة على وصف الأماكن المقدسة، وأماكن الزيارات في المدينة، وجاءت الإشارات الى الجوانب التجارية عابرة على هامش الحديث عن الجوانب الدينية في أغلب الأحيان.

لذلك كان على الباحث أن يجمع تلك الإشارات، ويعمل على تحليلها، ومقارنتها، وربطها مع بعضها، ليصل إلى صورة واضحة ما أمكن عن الأحوال التجارية في المدينة المنورة.

وتميزت هذه الدراسة عن غيرها من الدراسات التي تناولت الجوانب الاقتصادية من تاريخ المدينة أن أغلب تلك الدراسات اعتمدت المصادر التاريخية، وجاء الحديث عن الجوانب الاقتصادية وخاصة التجارية عاما وعابرا، بينما استطاع الباحث في دراسته أن يرسم صورة لتجارة المدينة بشكل واضح ومستقل عن الجوانب الأخرى.

ومن خلال ما توفر للباحث من إشارات فقد تم تناول الموضوع من عدة جوانب حيث بدأت الدراسة بالحديث عن الطرق التجارية، ثم انتقلت للحديث عن المبادلات التجارية، كما تناولت النقود والأوزان والمكاييل المتداولة، علاوة على الأساليب المستخدمة في البيع والشراء، وكذلك وسائل نقل السلع، والأسواق في المدينة، وأنهى الباحث دراسته بخاتمة، عرض فيها أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

**الطرق التجارية:**

كان لموقع الحجاز عامة والمدينة المنورة خاصة، علاوة على المكانة الدينية التي تتمتع بها في نفوس المسلمين دور هام في النشاط التجاري في شبه الجزيرة العربية وخارجها، فهي تقع في المنطقة الغربية لشبه الجزيرة العربية، قرب ساحل البحر الأحمر، علاوة على اتصالها ببلاد الشام شمالا، واليمن جنوبا، وكان لهذا الموقع دوره البالغ في ازدهار النشاط التجاري في عامة بلاد الحجاز طوال العصور التاريخية المتعاقبة.[١]

وقبل الخوض في الحديث عن النشاط التجاري والبضائع الصادرة والواردة من وإلى المدينة المنورة لا بد من القول ان الطرق المؤدية الى المدينة المنورة والصادرة منها قد اكتسبت أهميتها كونها تقع على طرق الحاج الشامي والمصري والعراقي ، علاوة على ان المدينة كانت مزارا للمسلمين خلال مواسم الحج والعمرة حيث يزورها عند الانتهاء من أداء المناسك او قبل أداء المناسك كما هو حال الحاج الشامي . واذا كانت المدينة لم تعد لها تلك المكانة السياسية اة الإدارية منذ ان تحولت عنها العاصمة الى العراق ثم الى الشام ولم تعد اليها ابدا.

وفي الفترة موضوع البحث فقد تحدث عدد من الرحالة والجغرافيين عن تلك الطرق ووصفوا محطاتها بشكل مفصل، واذا كانت أحوال تلك الطرق عرضة للتغيير تبعا للظروف السياسية السائدة والاضطرابات التي كانت تؤدي إلى فقدان الأمن في سلوك تلك الطرق مما يؤدي إلى خرابها أو تحولها إلى أماكن أخرى بعيدا عن الاعتداءات المتكررة.

الا انه من الواضح أن أغلب تلك الطرق قد انتظمت فيها الحركة في أغلب فترات البحث نظرا لوقوعها على طريق الحج أو بالقرب من محطاته، علاوة على حيويتها في حركة التجارة ونقل السلع من المدينة او إليها.

---

[١] بافاس، عائشة. بلاد الحجاز في العصر الايوبي ٥٦٧-٦٤٨هـ/١١٧١-١٢٥٠م. الطبعة الأولى، نادي مكة الثقافي، مكة. ١٤٠٠هـ/١٩٧٩م. ص٧٣؛ السليمان، علي حسين. النشاط التجاري في شبه الجزيرة العربية أواخر العصور الوسطى. بدون رقم الطبعة، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة. ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م. ، ص٨٣.

اما عن أبرز تلك الطرق التي ربطت المدينة المنورة بالمناطق والمدن المجاورة لها، والمدن والمراكز التجارية البعيدة عنها، التي كان لها دور هام في نشاط الحركة التجارية صدورا من المدينة أو ورودا إليها من مختلف المناطق. فأبرزها:

الطريق من الكوفة إلى المدينة، وكانت عامرة منذ فترة مبكرة وكانت الكوفة نقطة التقاء وتجمع حجاج العراق والمناطق الواقعة الى الشرق منها. واستمر هذا الامر حتى سقوط بغداد سنة ٦٥٦هـ حيث اضطربت الأحوال وشاعت الفتن وكثرت مما أدى الى عدم انتظام هذه الطريق بل وعدم استعمال الحجيج لهذه الطريق حتى اضطر حجاج العراق وفارس للتوجه الى الشام للانضمام الى قافلة الحج الشامي ، ولم تسر الأمور على هذه الطريق على خير ما يرام الا في بعض الحالات المتفرقة مع ملاحظة قلة عدد السالكين لهذه الطريق ، وقد حدد العديد من الرحالة والجغرافيين المسلمين منازل تلك الطريق واهتموا بتفاصيلها قبل فترة البحث وكانت منازلها ( القادسية الى العذيب ثم المغيثة ، الى القرعاء ثم واقصة ، الى العقبة ثم القاع ، والى زبالة ثم الشفوق ، والى البطان فالثعلبية ثم الخزيمية فالأجفر ، ثم الى فيد وتوز فسميراء ثم الى الحاجر فالنقرة ... [١] لكن ابن بطوطة والجزيري كان تحديدهما لمنازل الطريق خلال فترة البحث مفصلا وأكثر دقة[٢].

---

١ انظر سيد عبدالمجيد بكر: الملامح الجغرافية لدروب الحجيج، ط١ ، جدة ، ١٤٠٠هـ /١٩٨١م. ص٢٣-٢٦ ، وهي دراسة مهمة قارن فيها بين منازل الطرق كما ذكرها الرحالة والجغرافيين المسلمين ومنهم ( الحربي ( ت ٢٨٥هـ)في كتاب المناسك .وابن خرداذبة (ت٣٠٠هـ) في المسالك والممالك واليعقوبي (ت٢٨٢هـ)في كتاب البلدان ، وابن رستة (ت٢٩٠هـ) في كتاب الاعلاق النفيسة وقدامة بن جعفر ( ت٣٢٩هـ) في كتاب الخراج والهمذاني (ت٣٣٤هـ ) في كتاب صفة جزيرة العرب والمقدسي (ت ٣٨١هـ) في احسن التقاسيم) . للمزيد انظر الصفحات من ١٧ الى ٧٠ في نفس المرجع.

(٢) ابن بطوطة، محمد بن إبراهيم اللواتي ( ت ٧٧٩هـ). رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الأسفار. بدون رقم الطبعة، دار صادر، بيروت، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م. ص١١٧-١١٩. الجزيري : عبد القادر بن محمد بن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم ( ت ٩٤٤هـ)، درر الفرائد في اخبار الحج وطريق مكة المعظمة ، تحقيق حمد الجاسر ،ط١، ١٩٨٣م، ص١٢٧٥.

فمن الكوفة الى النجف[١] في مرحلة [٢]، ومنها إلى القادسية[٣] على مرحلة ،ثم إلى العذيب[٤] على مرحلة ، ومنها إلى الرحبة[٥] على مرحلتين ، ثم إلى سلمى[٦] في أربع مراحل ، ثم إلى الجنوب الغربي إلى القرعاء[٧] ،ومنها إلى واقصة [٨]على أربع مراحل، ومنها إلى خاديت[٩] في أربع مراحل، ثم إلى زرود[١٠] في ست مراحل، حتى تصل

---

[١] النجف: بالتحريك تقع في ظاهر الكوفة وبالقرب منها قبر علي بن ابي طالب رضي الله عنه (ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ( ت ٥٧٤هـ ) معجم البلدان. بدون رقم الطبعة، دار صادر، بيروت ، ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٦م. ج٥، ص٢٧١)

[٢] القادسية: احد منازل درب الحاج العراقي وتبعد عن الكوفة مرحلتين وفيها كانت وقعة القادسية بين المسلمين والفرس .( ياقوت : معجم البلدان ، ج٤،ص٢٩١)

[٣] المرحلة هي ١٨ ميلا ، والميل =١٦٨٠م ، انظر الكردي، محمد نجم الدين.١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م. المقادير الشرعية والأحكام الفقهية المتعلقة بها. الطبعة الثانية، دون معلومات الناشر، القاهرة. ص٢٧١.

[٤] العذيب : ماء بين القادسية والمغيثة وهو واد لبني تميم واحد منازل الحج العراقي ( ياقوت : معجم البلدان ، ج٤، ص٩٢) .

[٥] الرحبة: بضم الراء وسكون الحاء، قرية قرب القادسية على يسار الحاج (ياقوت: معجم البلدان، ج٣، ص٣٣)

[٦] سلمى: احدى جبلي طي ويؤخذ اليها الحاج في ٤ مراحل. انظر سليمان المالكي: مرافق الحج والخدمات المدنية في الأراضي الإسلامية المقدسة منذ السنة الثامنة للهجرة وحتى سقوط الخلافة العباسية، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز الرياض، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م ، ص٥٨.

[٧] القرعاء: احدى منازل الحاج العراقي وسميت بهذا الاسم لقلة ماءها ونباتها (ياقوت: معجم البلدان، ج٤، ص٣٢٥).

[٨] واقصة: منزل من منازل الحج الكوفي تقع بين القرعاء وقبل العقبة، وهي لبني شهاب من طيء، (ياقوت: معجم البلدان، ج٥، ص٣٥٤.)

[٩] خاديت: تعرف بأخاديد جمع أخدود وهي الى الجنوب الغربي من القرعاء، وفيها ماء عذب (ياقوت: معجم البلدان، ج١، ص١١٨)

[١٠] زرود: على طريق الحج من الكوفة وهي بين الثعلبية والخزيمية، وهي منطقة رملية يذهب الماء في جوف ارضها دون ان تمسك من شيئا (ياقوت: معجم البلدان، ج٣، ص١٣٩)

إلى الأجفر[١] في مرحلتين ، ومنها إلى سميراء [٢]على مرحلتين ، ومنها إلى النقرة [٣]على مرحلتين ، ثم إلى وادي العروس[٤] في خمس مراحل ، ثم إلى المدينة في أربع مراحل.[٥]

أما الطريق من مصر إلى المدينة فقد جاءت تفصيلاتها في رحلة ابن رشيد الاندلسي ( ت ٧٢١هـ) [٦]وفي رحلة العبدري (ت٧٢٠هـ) [٧] الا أن الجزيري( ت٩٧٧هـ) كان أكثر دقة وتفصيلا بحكم عمله في ديوان الحج المصري، وقد سبقه والده في العمل في نفس الديوان .لذلك قدم الجزيري وصفا مفصلا ودقيقا لمراحل هذه الطريق التي عرفها جيدا وعرف مخاطرها وأعمال الدولة فيها وإجراءات الدولة لضمان سلامتها وعرف متى تكون سالكة ومتى تحفها المخاطر . [٨]

---

[١] الأجفر: بسكون الجيم وضم الفاء وهو البئر الواسعة، وتقع بين فيد والخزيمية (ياقوت: معجم البلدان، ج١، ص١٠٢)

[٢] سميراء: بفتح او ضم ثم كسر وسكون، وهو منزل من منازل حج العراق وتحيط به الاكام والجبال ذات اللون الأسود (ياقوت: معجم البلدان، ج٣، ص٢٥٤)

[٣] النقرة: تقع غرب منطقة القصيم في المملكة العربية السعودية وتبعد عن المدينة المنورة ٢٢٥كم. وذكر ياقوت ان فيها بركا وابار يتزود منها الحاج بالماء، وعندها يفترق الحاج فمن أراد مكة نزل المغيثة ومن أراد المدينة سار نحو العسيلة. (ياقوت: معجم البلدان، ج٥،ص٢٩٨-٢٩٩)

[٤] وادي العروس: أحد أودية المدينة، عذب الماء وهو اخر محطة يتزود بها القادم الى المدينة قبل وصوله اليها.

[٥] انظر : ابن بطوطة ، رحلة ،ص١١٧ ؛الجزيري :درر الفرائد،ج٢،ص١٢٧٧ ؛ آمنة حسين جلال ، طرق الحج ومرافقه في الحجاز في العصر المملوكي (٦٤٨هـ -٩٢٣هـ/ ١٢٥٨-١٥١٧م)رسالة دكتوراة ، جامعة ام القرى ، مكة المكرمة ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.ص١١٩-١٢٠.

[٦] ابن رشيد ، أبو عبدالله محمد بن عمر بن رشيد الفهري السبتي (ت٧٢١هـ) ، ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة الى الحرمين مكة وطيبة ، الجزء الخامس ( الحرمان الشريفان ومصر والإسكندرية عند الصدور ) تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة ، دار الغرب الإسلامي، ط١ ، بيروت ،١٤٠٨هـ/١٩٨٨م. ص١٧٢٧٦-٢٨٥.

[٧] العبدري، محمد بن محمد بن علي. تحقيق: كردي، علي إبراهيم. ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م. رحلة العبدري. الطبعة الأولى، دار سعد الدين، دمشق.، ص١٥٧-١٥٩.

[٨] الجزيري : درر الفرائد ، ج٢ ، الصفحات ١٣١٨-١٤٢٣.

وتبدا هذه الطريق من بركة الحاج[١] بظاهر القاهرة ،ثم إلى البويب [٢]، ومنها إلى الدار الحمراء[٣] وصولا إلى منطقة عجرود[٤]، ثم إلى المنصرف وصولا إلى وادي القباب[٥] ،ثم إلى ثغرة حامد [٦]،وبعدها إلى رأس التيه[٧]، ومنه إلى منطقة نخل[٨] ثم إلى وادي الفيحاء[٩] وصولا على عراقيب البغلة[١٠] ، ثم إلى مدينة العقبة (عقبة أيلة )[١١]

---

[١] بركة الحاج: ويطلق عليها بركة الجب ، وسميت بركة الحاج لنزول حجاج البر بها وهي بظاهر القاهرة من جهة الشمال .بذكر الخطط والآثار، المقريزي : تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ) :المواعظ والاعتبار ، القاهرة ، ١٢٧٠هـ/١٩٥٥م، ج١،ص٤٨٩ ؛ وذكر الجزيري ان الحجاج كانوا يمكثون فيها ٥ أيام، (درر الفرائد،ج٢،ص١٣٠٩.

[٢] البويب : تصغير باب وهو احد منازل الحج المصري وهي مدخل أهل الحجاز إلى مصر (ياقوت: معجم البلدان ، ج ١،ص٥١٢)

[٣] الدار الحمراء : احدى محطات الحج المصري( ياقوت : معجم البلدان ،ج٢،ص٣٠١)

[٤] عجرود : الى الغرب من السويس وفيها العديد من البرك والسواقي ( الجزيري :درر الفرائد ،ج٢،ص١٣٢٠.)

[٥] وادي القباب : سمي بذلك لكثرة القباب المبنية فيه (الجزيري:درر الفرائد ،ج٢،ص١٣٢٤.)

[٦] ثغرة حامد : تنسب لأحد العربان اشتهر فيها فغلب عليها اسمه( الجزيري : درر الفرائد ،ج٢،ص١٣٢٤)

[٧] رأس التيه: على يسار الطور وعلى يمين العريش،وهو مكان قليل الماء ( الجزيري : درر الفرائد ، ج٢،ص١٣٢٤)

[٨] نخل : على طريق الشام من ناحية مصر ، وفيه عدد من البرك والابار ( ياقوت : معجم البلدان ، ج٥، ص٢٧٦)

[٩] وادي الفيحاء : وهو وادي كثير الشجر وخاصة شجر العنب والتين والنخل( البكري: عبدالله بن عبد العزيز الاندلسي(ت٤٨٧هـ، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، القاهرة ، ١٩٤٥، ج١،ص٣٣٠)

[١٠] عراقيب البغلة : وهي عقبة وعرة المسلك ، وكثيرا ما هلك عندها الناس بجمالهم ،ويطلق عليها رأس النقب لأنها رأس مثلث النقب الممتد حتى يطل على خليج العقبة ( العبدري: رحلة ، ص١٥٩)

[١١] العقبة : عقبة أيلة وفيها يلتقي حجاج الشام وحجاج مصر والمغرب ،وتقام فيها الأسواق ويبتاع منها الحجاج ما يحتاجونه من طعام وشراب .( العبدري: رحلة ص١٥٠؛ الجزيري : درر الفرائد ،ج٢، ص١٢٣٥)

ومنها جنوبا إلى منطقة حقل[١] ،ثم جنوبا إلى منطقة ظهر الحمار[٢] ،ثم إلى الجنوب الشرقي نحو منطقة الشرف أو الشرفا [٣]،وبعدها إلى وادي عفان[٤] ثم إلى منطقة المظلة وصولا إلى مغاير شعيب [٥]قرب مدينة مدين [٦]، ثم الى عيون القصب[٧] وصولا الى منطقة الشرمة [٨]، ومنها إلى الجنوب الشرقي نحو منطقة المويلح، ثم على دار السلطان [٩]، ثم نحو الجنوب الشرقي وصولا إلى منطقة الازلم أو الأزنم ، وبعدها إلى منطقة قبقاب،ثم على وادي التيه وصولا إلى اسطبل عنتر(بركة عنتر) ثم إلى الرحبة وصولا على مفرش النعام ( أكرا) [١٠] ، ومنها إلى منطقة الحنك[١١] ثم إلى

---

[١] حقل : وهي ساحل تيماء وعلى مقربة من العقبة ( ياقوت : معجم البلدان ،ج٢،ص٢٧٨)

[٢] ظهر الحمار : قرية وعرة المسالك ويقال ان فيها قبر بنيامين ويوسف عليه السلام ( ياقوت : معجم البلدان ، ج٤، ص٦٣)

[٣] الشرف(الشرفا): منطقة جبلية عالية جنوب شرق حقل ، وتجري فيها عدة اودية . ( امنة حسين جلال : طرق الحج ومرافقه، ص٤٧)

[٤] وادي عفان : وفيه عدد من السيول والحفائر ( الجزيري : درر الفرائد ،ج٢،ص١٣٥٤)

[٥] مغاير شعيب : وهي مغارة كبيرة قرب مدبن بابها واسع جدا ، ويكثر في المنطقة بساتين النخيل ( العبدري: رحلة ، ص١٦٠)

[٦] مدين: تقع على بحر القلزم ، وهي مدينة شعيب عليه السلام ( ياقوت : معجم البلدان ، ج٥،ص٧٧)

[٧] عيون القصب: احدى منازل الحج المصري ويكثر فيها النخيل وفيها عدد من الابار وسميت بذلك لكثرة نبات القصب الذي ينبت فيها (العبدري: رحلة ، ص١٦١)

[٨] الشرمة : وسميت باسم العين التي تجري بالقرب منها . وهي اليوم من اعمال إمارة ضبا ( أمنة أمنة حسين جلال ، طرق الحج ومرافقه ، ص٥٢)

[٩] دار السلطان : سميت بذلك لمرور السلطان المملوكي قايتباي فها خلال رحلته الى الحج (الجزيري : درر الفرائد ، ج٢،ص١٣٨٣)

[١٠] أكرا: منزل على طريق الحج المصري فيه الماء العذب الوفير ، ( أبن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن. تحقيق: شمس الدين، محمد حسين. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. بدون رقم الطبعة، دار الكتب العلمية، بيروت١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.، ج١٦،ص١١٣)

[١١] الحنك : تقع قرب مصب وادي ظروفي ، وهي تتبع إمارة أملج ، وهي منطقة سهلية واسعة ، (سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية ، ص١٣٦.)

الحريراء[١] وصولا إلى منطقة الحوراء[٢]، ومنها إلى نبط[٣] ثم وادي تيماء وصولا إلى إلى الخضيراء ، ثم إلى ينبع النخل [٤] ومنها إلى الدهناء[٥] وصولا إلى واسط[٦] ثم ثم على بدر[٧] ، ومنها إلى وادي الصفراء[٨]ثم إلى ذي الحليفة [٩]ثم على ملل [١٠] إلى إلى المدينة المنورة .

---

[١] الحريراء : وهي العقبة السوداء وفيها يلاقي أهل ينبع الحجيج بالتمر والعلف لدوابهم ، ويقدم أمراء الركب الهدايا والأعطيات لأمير ينبع ( الجزيري: درر الفرائد ، ج٢، ص١٤٠٣)

[٢] الحوراء: احدى قرى الحجاز على بحر القلزم شمال املج وتشتهر بالعجوة ( العبدري: رحلة ، ص١٦٢؛سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية ، ص١٣٧)

[٣] نبط : النبط هو ما يستخرج بالحفر وهو من اشهر الأبار العذبة في الحجاز ومحطة هامة على طريق الحج المصري ، ( ياقوت ، معجم البلدان ، ج٥، ٢٥٨؛ الجزيري : درر الفرائد : ج٢، ص١٤٠٨)

[٤] ينبع النخل : وفيها يلتقي أمير ينبع مع امير الركب المصري ، وتقام المراسيم والاحتفالات بقدوم المحمل ( العبدري : رحلة ، ص٦٣)

[٥] الدهناء : قرية عامرة فيها حدائق واشجار وعيون جارية ( العبدري : رحلة ص١٦٣؛ الجزيري : درر الفرائد ،ج٢، ص١٤٢٢)

[٦] واسط : قرية بين مكة والمدينة ووادي الصفراء ( ياقوت : معجم البلدان ، ج٥،ص٣٥٢)

[٧] بدر : بين مكة والمدينة وفيها الوقعة الكبرى بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين المشركين من قريش، ( ياقوت : معجم البلدان ، ج ١، ص٢٥٧)

[٨] وادي الصفراء : قرية كثيرة النخل والزرع وهي على مرحلة من بدر ( ياقوت : معجم البلدان ،ج٣، ص٢٥٧؛ الجزيري، درر الفرائد : ج٢، ص١٣٠٧)

[٩] ملل: على ثمانية وعشرين ميلا من المدينة المنورة ( ياقوت معجم البلدان ، ج٥،ص١٩٤)

[١٠] ذي الحليفة : قرية بينها وبين المدينة ٦ امسال ومنها ميقات اهل المدينة ( ياقوت : معجم البلدان ، ج٢، ٢٩٥)

أما الطريق من دمشق إلى المدينة (طريق الحج الشامي)

فمن دمشق إلى الكسوة[١]، ثم إلى الصنمين[٢] وصولا إلى درعا،[٣] ثم إلى بصرى،[٤] ومنها إلى وادي عنتر وصولا إلى الأزرق،[٥] ثم إلى زيزا،[٦] ومنها إلى الكرك،[٧] ثم إلى الحسا،[٨] ثم إلى عنيزة[٩] وصولا إلى معان[١٠] ومنها إلى تبوك،[١١] ثم إلى العلا،[١٢] ثم الى منطقة هدية وصولا إلى عيون حمزة،[١٣] ومنها إلى المدينة

---

[١] الكسوة : أول منازل الحج الشامي وتقع جنوب دمشق ( ياقوت : معجم البلدان ، ج٤،ص٤٦١)

[٢] الصنمين: قرية من اول أعمال دمشق أول حوران (ياقوت : معجم البلدان ،ج٣،ص٤٣١)

[٣] درعا : بلدة صغيرة من بلاد حوران فيها مياه عذبة ، ويقيم فيها الحاج الشامي يومان ( ابن بطوطة : رحلة ،ص٧٧)

[٤] بصرى : من أعمال دمشق وهي قصبة كورة حوران ، وقد وصل لها رسول الله صلى الله عليه وسلم في تجارته للسيدة خديجة رضي الله عنعا ( ياقوت : معجم البلدان ، ج١، ص٤٤)

[٥] الأزرق : في طريق الحج الشامي وفيه ماء وفيه حصن ( ياقوت ، معجم البلدان ، ج١،ص١٦٧)وتقع شمال شرق الأردن حاليا .

[٦] زيزا : احدى قرى البلقاء وهي فسيحة تقام فيها سوقا ، وفيها بركة ماء كبيرة ( ياقوت : معجم البلدان ،ج٣،ص١٦٣)

[٧] الكرك : جنوب الأردن . وفيها حصن منيع يسمى حصن الغراب وكان يلجا إليه السلاطين وقت النوائب ( ابن بطوطة : رحلة ، ص٧٨)

[٨] الحسا : من اعمال الكرك وبها وادي كثير الجريان ( سليمان المالكي : مرافق الحج ، ص٧٧؛ سيد عبدالمجيد بكر : الملامح الجغرافية ، ص١٨٨)

[٩] عنيزة : من أعمال الكرك وهي صعبة الدروب قريبة من حصن الشوبك ( سيد عبد المجيد بكر: الملامح الجغرافية ، ص١٨٨)

[١٠] في الأردن ، وهي اول الحجاز وآخر بلاد الشام ، وبها عدد من العيون ، وفيها سوق هام ينشط وقت الموسم ( ابن بطوطة :رحلة ،ص٧٨؛ سليمان المالكي : مرافق الحج ، ص٧٧)

[١١] تبوك : بين وادي القرى والشام ، وفيها حصن وعيون ونخيل ( ياقوت : معجم البلدان ، ،ج٢،ص١٤)

[١٢] العلا : بضم العين وهو جمع العليا ، موضع بناحية وادي القرى نزله الرسول صلى الله عليه وسلم في طريقه إلى تبوك ( ياقوت : معجم البلدان ،ج٤،ص١٤٤)

[١٣] عيون حمزة : مناطق وعرة شاقة الطرق ، وكثيرا ما هلك الحجاج عند اجتيازها ، وفيها يتأهب الحجاج لدخول المدينة المنورة ( الجزيري : درر الفرائد ، ج٢،ص١٢٦٣)

[١٤] الجزيري : درر الفرائد ،ج٢ ،ص١٢٥٤-١٢٦٤ ؛ سليمان المالكي : مرافق الحج ، ص٧٨.

وكانت المدينة تتصل بالطرق التجارية البحرية عن طريق مينائها الجار ثم ينبع لاحقا الذي يبعد عن المدينة ثلاث مراحل، حيث تخرج الطريق من المدينة إلى ذي خشب، مرحلة ومنه إلى عذيب مرحلة، ومنه إلى الجار مرحلة. [١]وذكر الادريسي: أن الجار قرية عامرة آهلة ، وهي فرضة ( ميناء )المدينة على البحر . [٢]

وارتبط ميناء الجار بعدد من الطرق مع الموانئ الأخرى على البحر الأحمر ومنها: ميناء جدة، حيث ارتبط به بطريق بري بمسافة عشرة أيام على طول الساحل[٣]، كما ارتبط بميناء أيلة، وكانت المسافة بينهما عشرين مرحلة [٤]. وقد استمر ميناء الجار في القيام بدوره في تصدير واستقبال البضائع وقد شهد هذا الميناء فترات من الازدهار، حيث ذكر المقدسي في وصف ميناء الجار: " أن بها دوراً شاهقة، وسوقاً عامرة، وهي خزانة المدينة ومصر، وكان بها خان ليس له نظير "[٥]. ويبدو أن هذا الميناء الهام تعرض إلى الخراب بسبب الاضطرابات والفتن التي سببتها غزوات الأعراب وقطاع الطرق منذ القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، حيث تعرض الميناء إلى عمليات سلب ونهب ودمار، وهجره بعض أهله لعدم توفر الأمن، وهو ما جعل خسرو يصف هذا الميناء بقوله:" الجار مدينة صغيرة في الحجاز تقع على شاطئ البحر ". [٦] ورغم ذلك ما يلبث الميناء إلا أنْ يعود لدوره في تصدير

---

( [١] المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله بن أحمد البشاري. أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. الطبعة الثانية، بريل، ليدن. ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م. ص٨٣.

[٢] الإدريسي، أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس. نزهة المشتاق في اختراق الافاق. بدون رقم الطبعة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة. ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.ص١٤٤.

[3] الإدريسي: نزهة المشتاق، ص١٤٤.

[٤] )المقدسي، أحسن التقاسيم ص ٨٣، الإدريسي، نزهة المشتاق، ص١٤٤. وأيله بالفتح مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام وقيل هي اخر الحجاز وأول الشام، وبها مجتمع حج الفسطاط والشام. انظر الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٢٩٢.

[5] المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٨٣.

[٦] خسرو، ناصر أبو معين الدين القبادياني. ترجمة: الخشاب، يحيى. سفرنامة. بدون رقم الطبعة، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة. ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م .

واستقبال البضائع على فترات استمرت حتى القرن السادس الهجري / الثاني عشر ميلادي حيث ذكر ياقوت الحموي:" أن في الجار قصورًا كثيرة " [١] ، ويظهر أنه منذ القرن السادس الهجري بدأت اهميته تتراجع لصالح ميناء ينبع الذي بدأ نجمه يسطع أكثر من الجار، بعد أن كان الجار هو الميناء الرئيس للمدينة المنورة [٢].

ومن الواضح أن عناية الأيوبيين بميناء ينبع جعلته يتحول إلى الميناء الرئيس للمدينة المنورة، ومنذ القرن السابع الهجري ساهم هذا الميناء بدور كبير في إنعاش النشاط التجاري للمدينة المنورة، حيث جلبت أغلب واردات المدينة وخرجت اغلب صادراتها عبر هذا الميناء [٣]. وقد شهد ميناء ينبع ازدهارا ملحوظا ومتناميا حتى صار أوسع الموانئ وأكثرها ازدهارا، ويغشاه الناس كثيرا، بل إنه أصبح محورا هاما في عمليات النقل والملاحة البحرية بين الموانئ الأخرى على البحر الأحمر، حيث كانت السفن الذاهبة من جدة والمتجهة إلى السويس أو العكس غالبا ما تمر به.[٤]

**المبادلات التجارية:**

كان لارتباط المدينة المنورة بسلسلة من الطرق مع المدن والمناطق المحيطة بها أو الأقاليم البعيدة عنها دور كبير في نشاط ورواج التجارة منها وإليها، حيث خرجت منها العديد من السلع والمنتجات، كما ورد إليها الكثير من السلع التي احتاجت إليها من مختلف المناطق.

أما عن أبرز ما كان يرد إلى المدينة، فكانت التوابل وخاصة الفلفل الذي يصل إلى المدينة من الهند، حيث اعتمد بعض التجار على تجارة هذه السلعة معتمدين على

---

[1] معجم البلدان، ج٢، ص٩٢-٩٣.

[٢] انظر، عبد الرحمن المديرس ، المدينة المنورة في العصر المملوكي ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ،٢٠٠١، ص١١١-ص١١٣

[٣] فهمي، نعيم زكي. طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى. الطبعة الأولى، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة. ١٩٧٣هـ/ ١٩٧٣م. ص١٤٠-١٤٢.

[٤] ديدييه، شارل. ترجمة وتقديم: البقاعي، محمد خير. رحلة إلى الحجاز في النصف الثاني من القرن ١٩ م. بدون رقم الطبعة، دار الفيصل الثقافية، الرياض، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م. ص ١٥٣.

كثرة استخدامها في تطييب الأطعمة والمأكولات. ويظهر أن هذه السلعة كانت غالية الثمن في أغلب البلدان، وكانت أسعارها متقاربة في مختلف مناطق بيعها، وربما بيع الحمل الواحد منها بقيمة تراوحت بين خمسين إلى مئة دينار حسب جودته، ورغم ارتفاع ثمن هذه السلعة إلا أن هناك إقبالا مميزا من مختلف طبقات المجتمع المدني على شرائها. [١]

ومن التوابل التي راجت في المدينة: الزنجبيل، وكذلك الكافور[٢]، والراوند[٣]، والعود الهندي[٤]، والزعفران[٥]، والكركم[٦]، والهال (الحب هال) وجوزة الطيب، وكانت أغلب هذه الأصناف ترد إلى المدينة مع التجار القادمين من الهند، وشرق أسيا واليمن[٧].

---

[١] ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى المغربي. تحقيق: العربي، إسماعيل. كتاب الجغرافيا. بدون رقم الطبعة، المكتب التجاري، بيروت١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م، ص٣٨؛ القوصي، عطية. تجارة مصر في البحر الأحمر منذ فجر الإسلام وحتى سقوط الخلافة العباسية. بدون رقم الطبعة، دار النهضة، القاهرة، ١٣٩٧هـ/١٩٧٦م. ص٢١٧-٢١٨؛ ص٢٣؛ بافاس، بلاد الحجاز، ص٦٨.

[٢] الكافور: نبات من جنس الدار صيني، وهي أشجار كبيرة قد يصل ارتفاعها الى ٥٠ مترا ،وهي سميكة الجذور وقد يصل سمكها الى المتر ،وثمارها كبسولية الشكل ذات حجم صغير ، وهي من اسرع النباتات نموا ( أحمد عيسى : معجم أسماء النبات ،ط١، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، القاهرة ،١٩٣٠. ص٧٨؛ مصطفى الشهابي : معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية،ط٥،مكتبة لبنان،بيروت،٢٠٠٣.ص١٣٦)

[٣] الراوند : جنس نبات طبي عشبي، وهو نبات معمر وله أنواع عديدة من أشهرها الهندي والصيني (ميشيل حايك : موسوعة النباتات الطبية ،ط٣،ج٦، مكتبة لبنان بيروت ،٢٠٠١. ص٩٠.)

[٤] شجرة دائمة الخضرة معمرة ، يستخدم خشبها كبخور نفيس ( مصطفى الشهابي: معجم الشهابي، ص٣٧؛ احمد عيسى: معجم أسماء النبات، ص١٠)

[٥] صبغ أصفر زاهي اللون يضيف نكهة طيبة للطعام وله استخدامات في صناعة الأدوية (حمد عيسى : معجم أسماء النبات ، ص٦٠.)

[٦] جذور نبات عشبي معمر من الفصيلة الزنجبيلية موطنه جنوب غرب الهند ويعتبر من أهم التوابل( سمير الحلو : القاموس الجديد للنباتات الطبية ،ط١،دار المنارة ،جدة ١٩٩٩. ص٣٩)

[٧] المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٩٧-٩٨؛ القوصي، تجارة مصر، ص٢٢٠، ربيع، حسنين. البحر الأحمر في العصر الأيوبي. ندوة تاريخ البحر الأحمر، البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة، جامعة عين شمس. القاهرة ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٧٩م. ص١١٦؛ بافاس، بلاد الحجاز، ص٦٨.

وكان لتجارة القرفة[١] أو ما يعرف باسم ( الدارصيني ) رواجا واضحا في أسواق المدينة، وكانت من السلع غالية الثمن مرتفعة الربح، وكذلك الحال بالنسبة للقرنفل الذي ربما بلغ سعره أضعاف سعر الفلفل، وكان يجلب إلى المدينة والحجاز عامة عن طريق التجار العرب من الهند والصين [٢].

ومن الجدير قوله: إن تجارة هذا النوع من البضائع من البهارات والتوابل كانت كثيرة الربح وما زالت على حالها إلى يومنا هذا، وقد احترفها تجار ورثوها عن أباءهم وأجدادهم، وقد أشار المقدسي إلى كثرة أرباح هذا النوع من البضائع بقوله: ربما تضاعف مبلغ التجارة فيها في وقت يسير نظرا لأهمية تلك البضائع المجلوبة من أقاليم بعيدة. [٣]

وعلاوة على التوابل والبهارات فقد راجت في المدينة تجارة العطور، وأنواع الطيوب والبخور ومنها المسك[٤]، والصندل[٥]، والعنبر[٦]، واللادن[٧]. حيث وردت تلك

---

[١] القرفة أو الدارصيني: وهي لحاء شجرة دائمة الخضرة استوائية كثيفة قد يصل ارتفاعها الى ٤٠ مترا ومن أهم مواطنها سريلانكا والهند (أحمد عيسى :معجم أسماء النبات ،ص٥٠؛ سمير الحلو:القاموس الجديد للنباتات،ص٣٢)

[٢] ربيع، حسنين: البحر الأحمر ص ص١٠٥-١٢٣، ص١١٦؛ القوصي، تجارة مصر، ص٢١٨؛ فهمي، طرق التجارة، ص٢١٩؛ المالكي، بلاد الحجاز ص٩٤-٩٥؛ بافاس، بلاد الحجاز، ص ٦٨.

[3] أحسن التقاسيم، ص٩٧-٩٨.

[٤] المسك: بالفارسية مشك (طيب وعطر من مصدر حيواني يتخذ من ضرب من الغزلان ، ويتكون المسك في غدة كيسية في بطن نوع من الظباء ويسمى غزال المسك وتوجد في الذكور دون الإناث (المعجم الوسيط ،مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط٤،مكتبة الشروق،٢٠٠٤.ص٩٣٨)

[٥] الصندل: نبات طفيلي يتراوح ارتفاعه بين ٨-١٠ امتار يتطفل على الأشجار القريبة فيتعلق عليها ، وتقطع شجرته بعد مرور ١٠ سنوات على نموها ، ويستعمل جوفها الأصفر لصناعة زيت الصندل العطري بالتقطير (مصطفى الشهابي:معجم الشهابي،ص٦٣٣)

[٦] العنبر: مادة تستخرج من جوف الحوت المعروف باسم حوت العنبر ، وهي مادة رمادية أو بيضاء أو صفراء ، وتستخدم في تحضير وتصنيع اغلى وأفضل أنواع العنبر( محمد الصاوي ومحمد مبارك : معجم المصطلحات العلمية في الأحياء الدقيقة والعلوم ، مكتبة ايزوريس، القاهرة ٢٠٠٣، ص٢٩)

[٧] اللادن : وله عدة أسماء منها الكبوسين او السلبوت او أبو خنجر او طرطور الباشا ، وهو نبات عطري مهم في صناعة العطور ( أدوار غالب : الموسوعة في علوم الطبيعة ، ط٢ ، دار المشرق ، بيروت ١٩٨٨. ج٢ص٧٩٨)

السلع إلى أسواق المدينة من بلاد الشرق الأقصى (الهند والصين) وكذلك من بلاد فارس التي اشتهرت فيها. [١] ويظهر أن عناية أهل المدينة بالتطيب كان لها الأثر في رواج تجارة الطيب في المدينة ، حتى أن رائحة الطيب كانت تشم في كل أرجاء المدينة لكثرة استعماله وجودته وكثرة تخزينه من قبل أهل المدينة ".[٢]

وازدهرت المبادلات التجارية بين اليمن والمدينة المنورة وكان تجار اليمن إذا قدموا المدينة جلبوا معهم العنب الذي تشتهر به مدينة خيوان [٣]ويتميز بكبر عناقيده. كما جلب بعض تجار اليمن أنواعا من الزبيب الأسود والأحمر، وكذلك اللوز، وبعض أنواع الحبوب، وقصب السكر، والسمن والعسل.[٤] وفي كثير من الأحيان كانت قوافل اليمن تصل إلى المدينة وهي محمَّلة بمنتجات كثيرة منها الجلود والثياب اليمنية المشهورة، وبعض أنواع البخور، علاوة على بعض المنتجات التي يجلبها تجار اليمن من ساحل افريقيا الشرقي كالصمغ، والعاج والرقيق.[٥] كما كانت المدينة تحصل على ما تحتاج إليه من خشب الصنوبر وخشب الساج[٦] عن طريق عدن. [٧]

---

[١] الزهري، محمد بن أبي بكر. تحقيق: حاج صادق، محمد. كتاب الجغرافية. بدون رقم الطبعة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة. ١٤١٩هـ/١٩٩٨م. ص٣٧؛ ابن جبير، محمد بن أحمدرحلة ابن جبير. بدون رقم الطبعة، دار الهلال، بيروت،. ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م. ص ٨٦؛ المالكي، بلاد الحجاز، ص٩٥؛ بافاس، بلاد الحجاز، ص٦٩.

[٢] ابن الفقيه، أحمد بن محمد الهمذاني. مختصر كتاب البلدان. بدون رقم الطبعة، مطبعة بريل، ليدن.، ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٥م. ، ص٧٥؛ الزهري، كتاب الجغرافيا، ص٣٧؛ انظر ايضا: القزويني، زكريا بن محمد. د.ت. آثار البلاد وأخبار العباد. بدون رقم الطبعة، دار صادر، بيروت. ص ١٠٧.

[٣] خيوان بفتح أوله وتسكين ثانيه واخره نون مدينة باليمن وهي من صنعاء على ليلتين مما يلي مكة. انظر الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص ٤١٥.

[4] المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٤٨؛ ابن جبير، رحلة، ص ٩٨.

[٥] السليمان، النشاط التجاري، ص ١٥١.

[٦] الساج: جنس من النباتات وهو شجر استوائي ينبت في جنوب وجنوب شرق اسيا، وخشبه قوي ومتين ومستقيم، يستخدم في صناعات كثيرة منها صناعة الأثاث والأعمدة (إبراهيم نحال : معجم نحال في الأسماء العلمية للنباتات ، ط١، مكتبة لبنان ، بيروت ٢٠٠٩، ص١٧٥)

[7] ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص ٢٤، ص ١٠٩.

وكان لموقع المدينة على طريق الحاج الشامي وأواسط أسيا دور كبير في رواج التجارة والمبادلات التجارية بين المدينة وبلاد الشام، حيث وصلت إلى المدينة العديد من القوافل المحملة بمنتجات الشام ومصر كالغلال والزيتون. [١] وكان القمح يجلب من البلقاء[٢] ويباع في أسواق المدينة، ويشتري التجار بدلا منه التمر الذي يحملونه معهم إلى أسواق الشام. [٣]

ولا بد من القول: إن التجار الذين كانوا يصلون إلى المدينة المنورة من أهل الشام كان جلهم من المسلمين. فقد أشار ابن بطوطة لذلك بقوله:" إن التجار القادمين من الشام من غير المسلمين من نصارى الشام تنتهي قوافلهم في قرية العليا ولا يتعدونها ويبيعون فيها الزاد وسواه " [٤] . ومن المؤكد أن هذه البضائع كانت تنقل على يد تجار مسلمين لتصل إلى المدينة المنورة أو مكة المكرمة.

ومما لا شك فيه أن المدينة لم تكن بلدا مستوردا فحسب، بل كانت القوافل التجارية تحمل منها عند عودتها بعض الزيوت، والبلح، والقرظ[٥]، والصوف، والوبر، والشعر، والجلد، والسمن، علاوة على بعض أنواع الخيول، والجمال، والجلود المدبوغة والتي كانت تحمل إلى سائر البلاد. [٦] كما ذكر بعض الرحالة والجغرافيين أن تجار اليمن كانوا يبادلون ما معهم من بضائع ببضائع من المدينة مثل الخِرَق، والعباءات، والأمتعة، والملاحف بدلا من أخذ النقود [٧].

---

[1] ابن جبير، رحلة، ص ٨٧.

[٢] البلقاء: كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى ، قصبتها عمان ، وفيها قر كثيرة ومزارع واسعة ، وتشتهر بجودة حنطتها التي يضرب فيها المثل ( ياقوت : معجم البلدان ج١، ص٤٨٩)

[٣] ابن بطوطة : رحلة ،ص١١٣

[٤] ابن بطوطة : رحلة ص١١٣

[٥] القرظ : شجر يدبغ به الجلد ( ابن منظور: جمال الدين محمد بن مكرم ت٧١١هـ ،لسان العرب ،١٥ جزء، دار صادر ، بيروت . ج١٢،ص٧٥)

[٦] ابن جبير، رحلة، ص٩٨؛ ص٢٥؛ المالكي، بلاد الحجاز، ص٨٦.

[7] المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٤٨؛ ابن جبير، رحلة، ص١١٠.

واشتهرت المدينة بعدد من المنتجات منها (البان)[١]، ونوع من التمر يعرف بالصيحاني[٢]، كما اشتهرت بالحناء [٣]، ومن جبل رضوى كان يقطع حجر المسن.[٤] ولا شك بأن تلك المنتجات حملت إلى سائر البلاد مع القوافل.

ويظهر أن ارتباط المدينة المنورة بسلسلة من الطرق مع المدن والمناطق المحيطة بها في الجزيرة العربية كان له دور كبير في تنشيط التبادل التجاري بين تلك المناطق وبين المدينة المنورة، حيث كانت المدينة المنورة تبيعها ما ينوف عن حاجتها من منتجات، وتستورد منها ما تحتاجه من متطلبات. فمن الطائف حصلت المدينة المنورة على بعض المنتوجات التي اشتهرت بها الطائف من فواكه وعنب وزبيب معروف، كما استوردوا منها الأديم[٥] العالي الجودة، والنعل الطائفي المشهور. [٦] ومن منطقة السيالة على الطريق بين المدينة ومكة كانت تصل إلى المدينة بعض أنواع الصقور والشواهين التي كانت تباع لمن يستخدمونها في الصيد. كما جُلب إلى المدينة من وادي الحوراء (أحد موانئ غرب الجزيرة) أعواد الأراك التي كانت تشتهر بها

---

(١) البان : وهي شجرة المورينجا او اليسر او الحبة الغالية ، وتعرف بالعربية باسم البان أو غصن البان ، وهي شجرة سريعة النمو ذات فوائد غذائية وعلاجية ، وقد انتقلت زراعتها الى الجزيرة العربية . وربما دخلت عن طريق الحاج الاسيوي ، وقد تغنى بها الشعراء لان ساقها مرتفع ( ميشيل حايك : موسوعة النباتات الطبية ، ج٢، ص٣١؛ إبراهيم نحال : معجم نحال ، ص١١٢)

(٢) التمر الصيحاني: تمر أسود اللون فيه صلابة نسبية حين المضغ ، ويصنف من أجود أنواع التمور في المدينة ، ورويت فيه الروايات وحثت على أكله( المقدسي: أحسن التقاسيم ، ص٩٨)

(٣) المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٩٨؛ القزويني، آثار البلاد، ص١٠٧.

(٤) ابن الوردي، سراج الدين عمر بن مظفر. جريدة العجائب وفريدة الغرائب. دون رقم الطبعة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م. ص٨٤؛ الزهري، كتاب الجغرافيا، ص٣٧.

(٥) الأديم : هو الجلد ما كان ، وقيل هو الجلد الأحمر وقيل الجلد المدبوغ الحسن ( ابن منظور : معجم لسلن العرب ،ج١،ص٧٢)

(٦) الإدريسي، نزهة المشتاق، ص١٤٤-١٤٥

المنطقة.[١] وربما راجت تجارة النباتات الدوائية التي تأتي إلى المدينة مع القادمين إليها من المناطق القريبة منها، التي تستخدم في كثير من أنواع العلاجات الشعبية، ومنها نبات الشيح ذو الرائحة العطرة. [٢]

وارتبطت المدينة المنورة بعلاقات تجارية مع الساحل الإفريقي الشرقي منذ وقت مبكر، واستمرت بالحصول على ما تحتاج اليه من أنواع المؤن عن طريق الحبشة حيث تأتي إلى المدينة عبر ميناء الجار–ثم ينبع فيما بعد–السفن المحملة بالقمح وغير ذلك من الضروريات، ويتم تزويد المدينة المنورة بالمؤن من مصر والحبشة على الساحل الآخر للبحر الأحمر[٣].

ولا بد من القول: إن الحرم النبوي الشريف قد احتاج إلى الكثير من العناية من إضاءة وفرش وغيرها، ولا شك أن تلك الأشياء قد جلب بعضها من أماكن متفرقة. فقد جلبت بعض أنواع الفسيفساء لتزيين الحرم من بلاد الروم،[٤] كما أن فرش الحرم الشريف المعهودة من الزرابي المبثوثة الحسان التي لا يوجد لها نظير إلا في بيوت الملوك غالبا ما كان يؤتى بها من أرض الهند من عند ملوكها، وكان بعضها يصنع من الحرير الخالص.[٥] وكانت المصابيح التي تعلق في المسجد النبوي وهي غاية في الصنع وربما جلبت من بلاد فارس ومصر، [٦] وقد استعمل في إضاءة تلك المصابيح دهن السمك، الذي كان يجلب من مهرة في اليمن. [٧] وإذا كانت الروضة الشريفة

---

[١] السبتي، محمد بن عمر بن رشيد الفهري. تحقيق: ابن الخوجة، محمد الحبيب. ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة، الجزء الخامس، الحرمان الشريفان ومصر والإسكندرية عند الصدور. بدون رقم الطبعة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، . ١٤٠٢هـ /١٩٨٢م ص٢٧٩.

[٢] السبتي، ملئ العيبة، ص ١٢.

[٣] بيتس، جوزيف. ترجمة ودراسة: الشيخ، عبد الرحمن.. كتاب رحلة الحاج يوسف إلى مصر ومكة المكرمة والمدينة المنورة ١٦٨٠م ،الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م ص ٧٣–٧٤.

[٤] ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص١٧٢.

[٥] العياشي، عبد الله بن محمد. تحقيق: الفاضلي، سعيد والقرشي، سليمان.١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م. الرحلة العياشية. الطبعة الأولى، دار السويدي، أبو ظبي، مجلد ١، ص٤٣٦.

[6] المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١٠٠؛ العياشي، رحلة، مجلد ١، ص ٣٨٤، ص ٤٣٧.

[7] المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ١٠٠.

تكسى في كل عام كما تكسى الكعبة وكانت تحمل تلك الكسوة من نفس المكان الذي تحمل منه كسوة الكعبة.[١] ووصلت إلى المدينة المنورة من الأستانة ومن الشام ومن مصر مخصصات للحرم النبوي الشريف من زيت أخضر، وشمع، وقناديل من بلور، وحصير، ودهن السمك، وشمع أبيض كافوري كبار للمحاريب.[٢]

**المكاييل والأوزان والنقود المتداولة في المدينة:**

استخدم أهل المدينة في تعاملاتهم التجارية المكاييل والأوزان المعروفة من صاع[٣]، ومد [٤]، ورطل [٥]، ومُن [٦]، وبُهار [٧]، ومكوك [٨]. [٩] كما استخدم أهل المدينة في فترات لاحقة مصطلحات جديدة للدلالة على بعض المكاييل والأوزان منها: الربعي إشارة الى الصاع الكبير الذي يتكون من أربعة مكاييل، علاوة على الكيلة وهي جزئين من الصاع [١٠].

وكان الشائع في التعامل النقدي في عامة الحجاز والمدينة هو التعامل في الدنانير الذهبية والدراهم الفضية، وكانت أغلب التعاملات النقدية في الحجاز عامة في عصر الأيوبيين هي نفسها المستخدمة في الديار المصرية والشامية، حيث التعامل

---

[١] العبدري، رحلة العبدري. ص٤٢٦.

[٢] الجاسر، حمد. رسائل في تاريخ المدينة. بدون رقم الطبعة، دار اليمامة، الرياض، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م. ص٧.

[3] الصاع: مكيال قدره ٤ أمداد =٢،٣٦كغم، الكردي، المقادير الشرعية، ص٦٨.

[4] المد = ٤ حفنات بحفنة الرجل الأوسط = ٥٠٩غم، الكردي، المقادير الشرعية، ص٦٨.

[5] الرطل =٣٨١،٧٥غم، الكردي، المقادير الشرعية، ص٢٦٩.

[٦] المُن: وهو المينة القديمة = رطلين، كل رطل ٣٠ درهما، وهو في العراق ٨١٦،٥. انظر هنتس، فالتر. المكاييل والأوزان وما يعادلها في النظام المتري. دون رقم الطبعة، الجامعة الأردنية، عمان، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٦م. ص٤٥.

[7] البهار = ٣٠٠ رطل. انظر المقدسي، أحسن التقاسيم ص٩٩.

[8] المكوك = ٣ أصوعه. انظر المقدسي، أحسن التقاسيم ص٩٩.

[9] المقدسي، أحسن التقاسيم، ص ٩٨-٩٩.

[10] العياشي، رحلة، مجلد ١، ص٤٤٩-٤٥٠.

بالدنانير والدراهم النقرة[١]، والدراهم الناصرية – التي سكها الناصر صلاح الدين الأيوبي – والدراهم الكاملية – التي أمر السلطان الكامل الأيوبي بسكها سنة ٦٢٢هـ وهي مستديرة. [٢] وذكر المقدسي أن لأهل الحجاز عامة نقودا تعرف باسم المطوقة، وهي العشرية ثلثا المثقال، وتؤخذ كدراهم اليمن عدا. [٣]

وأشار بعض الرحالة إلى أن أهل المدينة تميزوا باستخدام بعض التسميات لأوزان النقد ومنها، أنهم أطلقوا على الأربعين مائديا حرفا، فكانوا يقولون: عشرة أحرف وعشرون حرفا ويعنون بذلك أن كل قيراط من قراريط الفضة المسكوكة يعد حرفا. [٤] والمائدي صنف من العملات المتداولة ويساوي قيراط واحد من الفضة في عرف تلك الفترة، ويساوي مجموع أربعين مائديا حرفا واحدا أو أربعين قيراط من الفضة، وإذا ذكرت الأحرف مجموعة كان أهل المدينة يطلقون عليها ذهبا وقد شبه العياشي الحرف المدني بالمثقال المغربي. [٥] ومن بين العملات التي تعامل بها أهل المدينة الدينار الذهبي المسكوك الذي كان يطلق عليه اسم الشريف أو السلطاني، كما تعاملوا بالريال المسكوك من الفضة، وكانوا يطلقون عليه اسم **ريال** أو قرش، وكذلك المحلّق وهو القيراط المسكوك. [٦] ومن بين الألفاظ التي استخدمها أهل المدينة أنهم أحيانا كانوا يقولون: عشرون ذهبا وهذا يعني عشرون حرفا دون أن تكون ذهبا في حقيقة الأمر، لأن الذهب اقتصر على الدنانير فحسب. [٧]

---

[١] الدراهم النقرة : واصل موضوعها أن يكون ثلثاها من فضة وثلثها من نحاس( القلقشندي : أحمد بن علي (ت٨٢١هـ ) صبح الأعشى ، تحقيق محمد حسين شمس الدين ، دار الفكر ،١٩٨٧م .ج٣،ص٥٠٩)

[2] بافاس، بلاد الحجاز، ص٧٦.

[3] المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٩٩.

[4] العياشي، رحلة، مجلد ١، ص٤٤٩–٤٥٠.

[5] العياشي، رحلة، مجلد، ١، ص ٤٥٠.

[6] العياشي، رحلة، مجلد ١، ص ٤٥٠.

[7] العياشي، رحلة، مجلد ١،ص٤٤٩.

**أساليب البيع والشراء المستخدمة في المدينة:**

استخدم أهل المدينة في بيوعهم وشرائهم الطريقة المباشرة ( شراء البضاعة من منتجها مباشرة ودفع ثمنها نقدا أو وزنا )، وإلى جانب ذلك ظهرت العديد من الحالات التي كان يشتري فيها أهل المدينة أو يبيعون بضاعتهم عن طريق وسطاء، حيث يحصلون على السلع عن طريق هؤلاء الوسطاء والذين بدورهم يحصلون عليها من منتجها مباشرة، وهذا ينطبق على بعض المنتجات التي كان ينتجها الأعراب في البادية من لبن وسمن وجبن، وقد جرت العادة أن يشتريها أهل المدينة بواسطة أعراب المدينة الذين يقومون بالاتصال بأصحاب السلع ويشترون منهم، ثم يقومون ببيعها لتجار المدينة مقابل ربح بسيط وقد أطلق على تلك الفئة التي تقوم بالوساطة اسم ( البرغازيين ) .[١]

إضافة إلى التعامل النقدي تعامل أهل المدينة بطريقة السلف والدين، ومقابل ذلك كانوا يكتبون وثيقة يسجل فيها قيمة المبلغ المستلف أو قيمة مبلغ الدين مقابل البضاعة [٢]. كما استخدموا في تعاملهم طريقة المقايضة، حيث كان بعض تجار اليمن يصرون على عدم أخذ الأموال من أهل المدينة مقابل ما يجلبونه لهم من بضائع اليمن، بل يأخذوا مقابل ذلك بضاعة من إنتاج المدينة. [٣]

**الأسعار:**

شهدت المدينة المنورة فترات من القحط والضيق في العيش ومنها القحط الذي أصابها سنة ٤٣٩هـ/ ١٠٤٧م، وكذلك سنة ٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م، ووصل هذا القحط والضيق في العيش إلى الحد الذي دعا سلطان مصر إلى حث الناس على عدم السفر إلى الحج، ولا شك أن هذا القحط كان له دور في ارتفاع الأسعار في الحجاز عامة، حيث بلغ سعر الأربعة أمنان من الخبز دينار [٤].

---

[1] العياشي، رحلة، مجلد ١، ص٤٥٣-٤٥٤.

[2] العياشي، رحلة، مجلد ١، ص ٤٥٢، ص٤٥٩.

[3] المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٤٨؛ ابن جبير: رحلة، ص٩٩.

[4] خسرو، سفر نامة، ص١٢٧.

وأشار بعض الرحالة إلى أسعار بعض السلع التي كانت تباع في أسواق المدينة ومن أبرزها أن كل ثلاثة أصوع من الفحم بريال، وكل أربعة أصوع من التمر بريال، وكل ثلاثة أصوع من الشعير بريال، والرطل من العسل بثلث ريال. [١] ويظهر أن هذه الأسعار كانت ترتفع لدرجة استغراب الرحالة من هذا الارتفاع وعدم وجود مبرر له وخاصة في مواسم الحج، فقد ذكر العياشي: " أن الأسعار تتأثر في مواسم الحج والزيارة فلا سعرا معلوما ولا مكيالا وافيا ولا ميزانا صحيحا، كل يفعل ما يشاء ولا يتكلم الولاة في شيء من ذلك، إلا أن يقع أمر مهم". [٢] وهي إشارة إلى غياب الرقابة على الأسواق في هذه الفترات نظرا لكثرة أعداد الزائرين. ويظهر أن هذه الحالة مؤقتة في مواسم الحج، حيث إن الأسعار والمكاييل والأوزان ما تلبث إلا أن تعود لسابق عهدها بعد رحيل وفود الزوار والحجاج.

ومن الواضح أنه في ظل غياب الرقابة الحقيقية على الأسواق أوقات المواسم، فقد لجأ بعض التجار والباعة إلى التربح والتكسب من خلال رفع الأسعار بشكل كبير، مستثمرين أعداد الزائرين في المواسم، ويحاول التجار استغلال الموسم للبيع بالأسعار التي يفرضونها طالما أنه لا يوجد لهم منافس في مجالهم أو طالما أن الرقابة لا تصلهم.

وكانت الأسعار تزيد وترتفع بشكل ملحوظ في الفترات التي تشح فيها البضاعة وخاصة عند قدوم الشتاء حيث تقل البضاعة، ويستمر الحال على ذلك حتى الربيع الذي ترخص فيه الأسعار بسبب كثرة المطر والزرع بعد أن يكثر اللبن والجبن في الأسواق. وكذلك اللحم السمين الذي كان يشح في الشتاء ثم يكثر في الربيع [٣]. ويبدو أن حالات الارتفاع في الأسعار كانت أكثر من الحالات التي تنخفض فيها والسبب في ذلك يعود الى الاضطرابات وانعدام الامن وما نتج عنه من قلة وشح

---

[1] العياشي، رحلة، مجلد ١، ص٤٥٤.

[2] العياشي، رحلة، مجلد ١، ص٤٣٧.

[٣] انظر: السبتي، ملء العيبة ج٥، ص٢٨١. العياشي، رحلة، مجلد ١، ص ٤٥٤.

وصول البضائع الى المدينة، علاوة على سنوات القحط الشديدة التي شهدها الحجاز عامة في الكثير من فترات الدراسة. [١]

**نقل السلع:**

كان أهل المدينة يخرجون بقوافلهم التجارية إلى سائر البلاد، كما عملوا على استثمار القوافل الذاهبة إلى مكة أو ينبع، ويكترون منها الرواحل لحمل بضائعهم أو جلب احتياجاتهم، وقد وُجِد في المدينة رجال كانت مهمتهم النقل، يسمون بالحمَّالين، وكل من أراد أن يكتري دابة للسفر أو نقل بضاعة يذهب إليهم، فيعقد معهم صفقة وعقدا ينص على أن يتحمل صاحب الدابة أي ضرر قد يلحق بالمسافر وبضاعته من غدر الطريق، أو الهرب، أو الاعتداء عليه. وهذا يعني أن المسافر ربما يرافقه في سفره أحد الأشخاص المكلفين بحمايته وسلامة أمواله ومتاعه، وقد عُرِف هؤلاء الأشخاص باسم المخرِّج [٢]. ويظهر أن وجود مثل هذا الشخص كان في غاية الأهمية عند الاتفاق على نقل المسافر أو بضاعته، ومقابل هذه الخدمة التي يقدمها المخرِّج، يحصل على المال من صاحب الدابة (الحمَّال) وكذلك يحصل على مبلغ من المسافر أو صاحب البضاعة (المكتَرِي). [٣]

ومن أبرز الحيوانات التي استخدمت في النقل الجمال (الإبل)، وكانت أسعار النقل بواسطة الجمال عالية الثمن، حيث بلغ أجر اكتراء الجمل خمسة دنانير. [٤] ويبدو أن أسعار النقل كانت تتعرض إلى التقلبات أو الحاجة والإقبال عليها بسبب المواسم، وربما قام أصحاب الجمال باستغلال حاجة الناس وزادوا في الأسعار، وهو ما ينطبق على حالة إحدى القوافل التي خشي أصحابها أن يتأخروا عن اللحاق بالموسم سنة ٤٤٠هـ فاكتروا جمالا لإيصالهم إلى مكة من الأعراب وكان مقابل كل جمل أربعين دينارا [٥]. كما استخدمت الخيول التي كانت قليلة، وغالبا ما كانت تستخدم لنقل

---

(١) المديرس : المدينة المنورة في العصر المملوكي ، ص١٢١-ص١٢٢

(2) السبتي، ملء العيبة، ج ٥، ص٢٨١؛ العياشي، رحلة، مجلد ١،ص٤٥٤.

(3) العياشي، رحلة، مجلد ١، ص ٤٥٣-٤٥٤.

(4) خسرو، سفر نامة، ص١٢٨.

(5) خسرو، سفر نامة، ص١٢٨؛ السبتي، ملء العيبة، ج٥،ص٢٨٠.

البضاعة لمسافات طويلة. وكذلك استخدمت الحمير في عمليات النقل الداخلي؛ وذلك لأنها بطيئة الحركة وقليلة التحمل للسفر الطويل، وقد تعجب بعض الرحالة في وقت متأخر من كثرة انتشار ركوب الحمير في مواسم الحج والزيارات، وقد عزا ذلك إلى انخفاض أجرتها مقارنة مع الجمال والخيول. [١]

**الأسواق:**

أمام حركة المبادلات التجارية المتعددة بين المدينة المنورة والمناطق القريبة منها من مدن الجزيرة العربية، وكذلك المبادلات مع المناطق البعيدة عنها (خارج الجزيرة العربية) لا شك أن هذه المبادلات ساهمت وعبر فترات متلاحقة في نشاط الأسواق في المدينة المنورة. وعلى الرغم من ندرة الإشارات من قِبَل الجغرافيين والرحالة إلى الأسواق في المدينة المنورة، وهو ما يوحي للقارئ بعدم اهتمام أهل المدينة بالتجارة أو قلتها وضعفها، إلا أنه يمكن الجزم أن أسواق المدينة قد انتعشت طوال الفترات التي تعاقبت على المدينة، حيث أمّتها القوافل التجارية من مختلف المناطق سواء أكانت تلك القوافل قاصدة المدينة مباشرة أم مارة بالمدينة المنورة كمحطة للوصول إلى مكة خلال مواسم الحج. ومما سبق يمكن القول إن أسواق المدينة كانت عامرة في أغلب الفترات، ولكنها في بعض الأحيان كانت تتعرض إلى الاضطراب والتراجع نظرا لظروف انعدام الأمن، والحروب بين الأمراء، وغارات الأعراب المحيطين بالمدينة أو القاطنين على الطرق المؤدية اليها. ومن أبرز تلك الغارات اعتداءات العربان في العصر العباسي [٢] ونهب ركب الحاج العراقي سنة ٨٣٠ هـ،[٣] وكذلك ما حل بركب الحاج الغزاوي ومن صاحبه خلال عودته من مكة حيث تعرضوا للاعتداء في وادي

---

[١] مهر، غلام رسول. ترجمة: عبد الحميد، سمير. يوميات رحلة في الحجاز ١٣٤٨هـ/١٩٣٠م. دون رقم الطبعة، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م. ص ٩٣-٩٤.

[٢] البيطار، أمينة. ثورات أعراب الجزيرة في خلافة الواثق. الندوة العالمية الخامسة الجزيرة العربية من قيام الدولة العباسية وحتى نهاية القرن ٤ هـ، كلية الآداب، الرياض ١٤٢٢هـ/٢٠٠٣م، ص ص ٨٣-١٠٢، ص٨٦. سليمان المالكي: مرافق الحج، ص٦٨

[٣] ابن حجر: أنباء الغمر، ج٣، ص٦٤٢

عنتر ونهب ما معهم وقتل منهم اعدادا كثيرة [١] وفي سنة ٦٧١هـ نهبت العربان ركب الحاج المغربي واخذوا أموالهم وقتلوا عددا منهم .[٢] وكذلك في سنة ٧٩٢هـ حيث هجمت بعض الاعراب على الحجاج العائدين من الحج ونهبوا أموالهم ومتاعهم وفي سنة[٣]

ويمكن تقسيم أسواق المدينة المنورة إلى قسمين: منها ما كان دائما، ومنها ما كان موسميا، يعقد في فترات أو مناسبات بعينها، أما الأسواق الدائمة أو الثابتة: فهي تلك الأسواق التي كان يؤمها أهل المدينة المنورة ويبيعون فيها ويشترون ما يحتاجونه من بضائع وسلع، كما تؤمها الوفود الزائرة للمدينة المنورة خلال مواسم الزيارة والحج بشكل يومي. وأبرز تلك الأسواق سوق الصواغين الذي اختص ببيع الذهب والجواهر [٤]، وسوق العطارين قرب سوق الصواغين، وسوق الفاكهة[٥]، وسوق الحطابين شمال المدينة، [٦].

ومن الجدير قوله أن الاضطرابات وانعدام الامن قد أثر على وصول القوافل والسلع التجارية وهو ما اثر على حركة المبادلات التجارية بين المدينة والمناطق المحيطة بها او الشح في توفر البضائع القادمة من الأماكن الأخرى في أسواق المدينة ، فالقوافل ان سلم أفرادها من هجمات الاعراب فان البضائع لم تكن لتسلم الا بعد دفع أموال باهظة عرفت بالإتاوات[٧]، وهو بالطبع ما اثر في حركة البيع وارتفاع الأسعار بشكل كبير[٨].

---

[١] الجزيري: درر الفرائد، ج١، ص٦٠٧.

[٢] المصدر نفسه، ج١، ص٦٠٤.

[٣] علي السليمان: العلاقات الحجازية المصرية، ص٧٣-ص٧٤

[٤] النابلسي :عبد الغني بن إسماعيل (ت١١٤٣هـ) الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام والحجاز ، تقديم أحمد هريدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة ، ١٩٨٦، ص٣٤٣ ؛ السمهودي، وفاء الوفاء، ج٢ ص٧٢٥

[٥] المصدر نفسه : ج٢، ص٧٣٦

[٦] المصدر نفسه : ج٢، ص٧٣٧ وص٧٦٥

[٧] السبتي، ملئ العيبة، ج٥، ٢٨١.

[٨] خسرو، سفرنامه، ص١٢٧. البوزيدي، أحمد. جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية بمكة والمدينة من خلال رحلة (الحيوني) أواسط القرن ١٣ هـ/١٩م. مجلة دعوة الحق، العدد ٣٥٧، يناير –فبراير/ ذو القعدة –ذو الحجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية. ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م. ص ص ١١٥-١٣٢.١٤٧.

أما عن الأسواق التي تزدهر في موسم دون الآخر، أو فترة دون الأخرى، فقد أشار الجغرافيون والرحالة إلى تلك الأسواق، ووصف البعض نشاطها وانتظام اقامتها خلال تلك الأوقات، بل إن بعض تلك الأسواق ربما تحول إلى أسواق دائمة، ولكن ازدهار تلك الأسواق كان يرتبط بالموسم الذي تقام فيه.

كانت بعض أسواق المدينة تظهر وتنشط في مواسم الحج، حيث كان أهل المدينة يتحينون قدوم أركب الحج من جهات شتى، فيحضرون ما يبيعونه للحجاج والزوار من تمر وعلف لدوابهم [١]، واستمرت تلك الصورة من نشاط الأسواق الموسمية حتى فترات متأخرة، حيث كان أهل المدينة يستعدون للموسم بتخصيص عطلة شاملة خلال الموسم، ولكن سرعان ما تعود تلك الأمور إلى سابق عهدها عند انتهاء الموسم وعودة الزائرين والحجاج إلى بلادهم [٢].

ومن الأسواق التي كانت تنصب في المواسم سوق (الرجبية) حيث يخرج الناس في أوائل رجب ويتكاملون في اليوم الثاني عشر من رجب، ويأتي إليه الناس من أقطار الحجاز من مكة، واليمن، والطائف وينبع بأعداد كبيرة، كما يخرج إليه أهل المدينة من مختلف طبقاتهم، ولا يبقى في المدينة إلا أهل الأعذار، وتنصب في تلك الأيام الأسواق العظيمة. [٣]

وفي ليلة السابع والعشرين من رجب (ليلة الإسراء والمعراج) يَقْدِم إلى المدينة خلق كثير من الأعراب، حيث تعقد سوق عظيمة يبيعون فيها منتجاتهم. [٤] وفي ليلة الحادي عشر من ربيع الأول احتفالات أهل المدينة بالمولد النبوي، ولا شك أن تلك الاحتفالات رافقها عقد العديد من الأسواق قرب المسجد النبوي؛ ليحصل منها الزوار على ما يحتاجونه من طعام أو بضائع، وكثيرا ما خصص جزء من تلك البضائع برسم الصدقات.[٥]

---

(1) العياشي، رحلة، مجلد ١، ص ٣٦٤.

(2) العياشي، رحلة، مجلد ١، ص ١٢٧.

(3) العياشي، رحلة، مجلد ١، ص٤٦٥.

(4)العياشي، رحلة، مجلد ١، ص٤٦٥.

(5) العياشي، رحلة، مجلد ١، ص٤٣٨.

ويوم السابع والعشرين من ذي القعدة هو يوم (الكنيس) الذي يستعد به أهل المدينة للموسم، كان يرافق ذلك نشاط وحركة وعقد أسواق يبتاع منها أهل المدينة ما يحتاجونه [١]. وفي النصف من شعبان كان أهل المدينة يخرجون بأخبيتهم وأطعمتهم، ولا شك أن بعضهم كان يبتاع ما يحتاجه من مستلزمات من أسواق أعدت لتلك المناسبة [٢].

وعلاوة على ذلك، فقد أشار البعض إلى نشاط الأسواق الأسبوعية وعلى رأسها سوق الجمعة التي كانت تعقد قرب المسجد النبوي، ويبتاع منها أهل المدينة ما يحتاجونه بعد فراغهم من أداء الصلاة. [٣] وهي عادة ما زالت ماثلة إلى يومنا هذا.

وإلى جانب البيع والشراء في الأسواق خلال موسم الحج والزيارات، كان أهل المدينة من العرب يتوجهون إلى وفود الحجاج القادمة من مكة ليعرضوا عليها الغرف أو البيوت للإيجار، وكذلك يبيعون لهم الطعام، وهو أمر ظهر في فترة لاحقة بعد بناء الأسواق المنتظمة، والبيوت الكثيرة التي أصبح الغرض منها لغايات الاستثمار عن طريق إجارتها [٤]. وكانت بعض الصفقات التجارية وعمليات البيوع تعقد خارج السوق، حيث أشار البعض إلى أن أهل المدينة ربما استقبلوا وفد الحجاج القادم من مكة قبل دخول المدينة، وعرضوا عليه الغرف والبيوت للإيجار ، وعلاوة على ذلك، فإن بعض التجار خلال لقائهم بالوفود التي تؤم المدينة ربما عرض عليه بيع التمر، وعينات من الفواكه التي ينتجونها [٥]، وهي إشارة واضحة إلى عرض البضاعة في أماكن إقامة الوفود، وهو نوع من التسويق الحديث، حيث يأتي صاحب البضاعة إلى الزبون في مكان إقامته، ولا يذهب الزبون إلى السوق أو ما يعرف اليوم باسم مندوب المبيعات .

---

(1) العياشي، رحلة، مجلد ١، ص ٤٣٦-٤٣٧.

(2) العياشي، رحلة، مجلد ١، ص٣٩٣

(3) العياشي، رحلة مجلد ١، ص ٣٩٦.

(٤) انظر، كين، جون. ترجمة: سارة هادي، ستة أشهر في الحجاز رحلات إلى مكة والمدينة، دون رقم الطبعة، دار الرافدين، بيروت، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م. ص١٩٤.

(5) كين، ستة أشهر، ص١٩٤.

وعلاوة على البيع والشراء في الأسواق وخاصة أسواق المناسبات، كان يمارس فيها العديد من الأنشطة كاللهو، والطرب، واللعب، والرمي بالمدافع والمحاريق، وكذلك بعض مظاهر العبادة وقراءة القران ليلا، وكل ذلك يرافقه إيقاد الشموع. [١]

ومن الجدير قوله: أن عدم ذكر الكثير من الرحالة للأسواق الموسمية التي كانت تعقد في المدينة نابع من أن تواجدهم في المدينة المنورة لم يصادف تلك الفترة التي عقدت فيها مثل تلك الأسواق، فغاب عنهم ذكرها ، فقد وصف أحد الرحالة المتأخرين استعدادات الناس في مكة لحضور سوق الرجبية في المدينة من خلال القوافل الكبيرة المتجهة إلى تلك السوق ،وأن الوفود المرافقة لتلك القوافل كانت تقيم في المدينة مدة عشرين يوما مع العلم انه لم يصف تلك السوق خلال توجوده في المدينة لانه لم يصادف وقت انعقادها . [٢]

---

[1] العياشي، رحلة، مجلد ١، ص٣٩٧.

[٢] بدر، عبد الباسط. الحياة السياسية والاقتصادية في رحلة بيركهارت ١٢٣٠ هـ. مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، العدد ٣٩، ص ص ٦٩-١١٧، ص١٠٤-١٠٥.

**الخاتمة والنتائج:**

أهم ما تم التوصُّل اليه في هذه الدراسة من نتائج:

- كان لارتباط المدينة المنورة مع المناطق المحيطة فيها بشبكة طرق متعددة ومنظمة دور كبير في تسهيل وصول البضاعة إليها وخروجها منها.
- كان لبعض المناسبات دور في نشاط الأسواق الموسمية، والتي تحول بعضها الى أسواق دائمة بسبب كثرة أعداد زائريها على مدار السنة، وكان أهل المدينة يستعدون للمواسم منذ وقت مبكر للاستفادة منها في تجارتهم بل إن الكثير من الأعمال في المدينة كانت تتوقف لحين انتهاء الموسم.
- مرت المدينة المنورة بفترات من الاضطراب السياسي اثرت على احوالها التجارية وأدي ذلك الى تراجع تجارتها في بعض الفترات بسبب انعدام الامن.
- تضاعفت أسعار بعض السلع عدة مرات بسبب شح تلك السلع في مواسم معينة، كما برزت فئة من التجار كانت تستغل المواسم لتمارس دور التربُّح، والتكسُّب السريع من خلال رفع الأسعار.
- تعامل أهل المدينة ببعض المكاييل والأوزان الخاصة بهم، كما اشتهرت في المدينة مصطلحات تجارية بتأثير من المقيمين فيها.
- كانت التمور أبرز ما تصدره المدينة من سلع، نظرا لتميز أهل المدينة بزراعة النخيل وجودة انتاجه، وبالمقابل كانت الغلال والحبوب أبرز السلع التي تستوردها المدينة نظرا لقلة انتاجها علاوة على الأعداد الكبيرة من الزائرين.

**المصادر والمراجع:**


- آمنة حسين جلال، طرق الحج ومرافقه في الحجاز في العصر المملوكي (٦٤٨هـ -٩٢٣هـ/ ١٢٥٨-١٥١٧م) رسالة دكتوراة، جامعة ام القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- إبراهيم نحال: معجم نحال في الأسماء العلمية للنباتات، ط١، مكتبة لبنان، بيروت، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.
- أحمد عيسى: معجم أسماء النبات، ط١، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة ،١٣٤٩هـ/١٩٣٠.
- الإدريسي، أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس. (ت٥٦٠هـ-١١٦٥م) نزهة المشتاق في اختراق الافاق. بدون رقم الطبعة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة. ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.
- أدوار غالب: الموسوعة في علوم الطبيعة، ط٢، دار المشرق، بيروت ،١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.
- بافاس، عائشة. ١٤٠٠هـ/١٩٧٩م. بلاد الحجاز في العصر الايوبي ٥٦٧-٦٤٨هـ/١١٧١-١٢٥٠م. الطبعة الأولى، نادي مكة الثقافي، مكة.
- بدر، عبد الباسط. الحياة السياسية والاقتصادية في رحلة بيركهارت ١٢٣٠ هـ. مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، العدد ٣٩، ص ص ٦٩-١١٧.
- ابن بطوطة، محمد بن إبراهيم اللواتي ( ت ٧٧٩هـ-١٣٧٧م). رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الأسفار. بدون رقم الطبعة، دار صادر، بيروت، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.
- البكري: عبدالله بن عبد العزيز الاندلسي(ت٤٨٧هـ-١٠٩٤م) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، القاهرة ،١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م.
- البوزيدي، أحمد. جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية بمكة والمدينة من خلال رحلة (الحيوني) أواسط القرن ١٣ هـ/١٩م. مجلة دعوة الحق، العدد ٣٥٧، يناير -فبراير/ ذو القعدة -ذو الحجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية. ص ص ١١٥-١٤٧. ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.
- بيتس، جوزيف. ترجمة ودراسة: الشيخ، عبد الرحمن.. كتاب رحلة الحاج يوسف إلى مصر ومكة المكرمة والمدينة المنورة ١٦٨٠م، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م
- البيطار، أمينة. ثورات أعراب الجزيرة في خلافة الواثق. الندوة العالمية الخامسة الجزيرة العربية من قيام الدولة العباسية وحتى نهاية القرن ٤ هـ، كلية الآداب، الرياض ص ص ٨٣-١٠٢. ١٤٢٢هـ/٢٠٠٣م،

- أبن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن. (ت٨٧٤هـ-١٤٦٩م) تحقيق: شمس الدين، محمد حسين. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. بدون رقم الطبعة، دار الكتب العلمية، بيروت١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.
- الجاسر، حمد. رسائل في تاريخ المدينة. بدون رقم الطبعة، دار اليمامة، الرياض. ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.
- ابن جبير، محمد بن أحمد. (ت٦١٤هـ-١٢١٧م) رحلة ابن جبير. بدون رقم الطبعة، دار الهلال، بيروت. ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م.
- الجزيري: عبد القادر بن محمد بن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم ( ت ٩٤٤هـ-١٥٣٧م)، درر الفرائد في اخبار الحج وطريق مكة المعظمة ، تحقيق حمد الجاسر ،ط١ ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م.
- خسرو، ناصر أبو معين الدين القبادياني.(ت٤٨١هـ-١٨٨م) ترجمة: الخشاب، يحيى. سفرنامة. بدون رقم الطبعة، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة. ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
- ديدييه، شارل. ترجمة وتقديم: البقاعي، محمد خير. رحلة إلى الحجاز في النصف الثاني من القرن ١٩ م. بدون رقم الطبعة، دار الفيصل الثقافية، الرياض. ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
- ربيع، حسنين. البحر الأحمر في العصر الأيوبي. ندوة تاريخ البحر الأحمر، البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة، جامعة عين شمس. القاهرة ص ص١٠٥-١٢٣. ١٤٠٠هـ/ ١٩٧٩م.
- الزهري، محمد بن أبي بكر. (ت٥٥٩هـ-١١٦٤م) تحقيق: حاج صادق، محمد. كتاب الجغرافية. بدون رقم الطبعة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة. ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
- السبتي، محمد بن عمر بن رشيد الفهري. (ت٧٢١هـ-١٣٢١م) ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة، الجزء الخامس، الحرمان الشريفان ومصر والإسكندرية عند الصدور، تحقيق: ابن الخوجة، محمد الحبيب.. بدون رقم الطبعة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٢هـ /١٩٨٢م.
- ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى المغربي. (ت٦٨٥هـ-١٢٨٦م) تحقيق: العربي، إسماعيل. كتاب الجغرافيا. بدون رقم الطبعة، المكتب التجاري، بيروت. ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.
- السليمان، علي حسين. النشاط التجاري في شبه الجزيرة العربية أواخر العصور الوسطى. بدون رقم الطبعة، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة. ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.

- السمهودي، علي بن عبد الله بن أحمد. (ت٩١١هـ-١٥٠٥م) تحقيق: عبد الحميد، محمد محيي الدين. ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م. وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى. بدون رقم الطبعة، دار الكتب العلمية، بيروت.
- سمير الحلو : القاموس الجديد للنباتات الطبية ،ط١،دار المنارة ،جدة ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
- سيد عبدالمجيد بكر: الملامح الجغرافية لدروب الحجيج، ط١ ، جدة ، ١٤٠٠هـ /١٩٨١م.
- العبدري، محمد بن محمد بن علي. (ت ٧٠٠هـ-١٣٠٠م) تحقيق: كردي، علي إبراهيم. رحلة العبدري. الطبعة الأولى، دار سعد الدين، دمشق. ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
- العياشي، عبد الله بن محمد. تحقيق: الفاضلي، سعيد والقرشي، سليمان. الرحلة العياشية. الطبعة الأولى، دار السويدي، أبو ظبي. ١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م.
- ابن الفقيه، أحمد بن محمد الهمذاني. مختصر كتاب البلدان. بدون رقم الطبعة، مطبعة بريل، ليدن. ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٥م.
- فهمي، نعيم زكي. طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى. الطبعة الأولى، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة. ١٩٧٣هـ/ ١٩٧٣م.
- الفيروز أبادي، أبي الطاهر محمد بن يعقوب. (ت٨١٧هـ-١٤١٥م) تحقيق: الجاسر، حمد. المغانم المطابة في معالم طابة. بدون رقم الطبعة، دار اليمامة، الرياض. ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.
- القزويني، زكريا بن محمد. د.ت. آثار البلاد وأخبار العباد. بدون رقم الطبعة، دار صادر، بيروت.
- القلقشندي: أحمد بن علي (ت٨٢١هـ-١٤١٨م ) صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق محمد حسين شمس الدين ، دار الفكر ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.
- القوصي، عطية. تجارة مصر في البحر الأحمر منذ فجر الإسلام وحتى سقوط الخلافة العباسية. بدون رقم الطبعة، دار النهضة، القاهرة. ١٣٩٧هـ/١٩٧٦م.
- الكردي، محمد نجم الدين. المقادير الشرعية والأحكام الفقهية المتعلقة بها. الطبعة الثانية، دون معلومات الناشر، القاهرة١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
- كين، جون. ترجمة: سارة هادي، ستة أشهر في الحجاز رحلات إلى مكة والمدينة، دون رقم الطبعة، دار الرافدين، بيروت، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م.
- المالكي، سليمان عبد الغني. بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية في بغداد من منتصف القرن الرابع الهجري وحتى منتصف القرن السابع الهجري. دون رقم الطبعة، دارة الملك عبد العزيز، الرياض. ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

- المالكي، سليمان عبد الغني، مرافق الحج والخدمات المدنية في الأراضي الإسلامية المقدسة منذ السنة الثامنة للهجرة وحتى سقوط الخلافة العباسية، مطبوعات دارة الملك عبد العزيز الرياض، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.
- محمد الصاوي ومحمد مبارك : معجم المصطلحات العلمية في الأحياء الدقيقة والعلوم ، مكتبة ايزوريس، القاهرة ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- المديرس ، عبد الرحمن مديرس ، المدينة المنورة في العصر المملوكي ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ،١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
- مصطفى الشهابي : معجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية،ط٥،مكتبة لبنان بيروت،١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣.
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط٤، مكتبة الشروق، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
- المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله بن أحمد البشاري.( ٣٨١هـ-٩٩١م) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. الطبعة الثانية، بريل، ليدن١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.
- ابن منظور: جمال الدين محمد بن مكرم( ت٧١١هـ /١٣١١م) لسان العرب ،١٥ جزء، دار صادر ، بيروت
- مهر، غلام رسول. ترجمة: عبد الحميد، سمير. يوميات رحلة في الحجاز . دون رقم الطبعة، دارة الملك عبد العزيز، الرياض. ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.
- ميشيل حايك : موسوعة النباتات الطبية ،ط٣،ج٦، مكتبة لبنان بيروت ،١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
- النابلسي :عبد الغني بن إسماعيل (ت١١٤٣هـ- ١٧٣٠م) الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام والحجاز ، تقديم أحمد هريدي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة ،١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.
- هنتس، فالتر. المكاييل والأوزان وما يعادلها في النظام المتري. دون رقم الطبعة، الجامعة الأردنية، عمان. ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٦م.
- ابن الوردي، سراج الدين عمر بن مظفر. (ت٧٤٩هـ-١٣٤٨م) جريدة العجائب وفريدة الغرائب. دون رقم الطبعة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م.
- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله (ت ٥٧٤هـ-١١٧٨م) معجم البلدان. بدون رقم الطبعة، دار صادر، بيروت، ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٦م.